

سورة الصلاق ﴿الآيات: 8 - 11﴾

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف جزاء مخالفة أمر الله وتكذيب رسله.
- 2- أن أدرك الغاية من إنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل للبشرية.
- 3- أن ألتزم بالإيمان والعمل الصالح لأنال رضى الله والفوز بجنته.

تمهيد

بعد أن بين الله عز وجل مجموعة من أحكام الطلاق والعدة، ورغب المكلفين في الامتثال لحكم الله فيها وحذرهم من تجاوزها، عاد ليتوعد من خالفوا أمره، وكذبوا رسله، وسلوكوا غير ما شرعه لهم، فأنذرهم بأنه قد يحل بهم مثل ما حل بالأمم السالفة التي كذبت رسله.

فكيف عاقب الله هذه الأمم السالفة؟ وكيف نعتبر مما حل بها من العقاب؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَكَايَرَمِي فَرِيَّةً عَمَّتْ عَلَى أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ، فَحَاسِبْنَا لَهَا حِسَابًا شَدِيدًا أَوْ عَذَابًا عَظِيمًا عَذَابًا نَكْرًا ۝ 8﴾ بِدَافَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝ 9 أَعَدَّ اللَّهُ لِلْفُجَّارِ عَذَابًا شَدِيدًا أَفَاتَفُؤُوا اللَّهَ يَٰٓأَوَّلِيَ الْآلِ لَبِيبِ الْيَدِ عَٰمِنُوا فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ يَٰ كُرَّا ۝ 10 رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الْيَدِ عَٰمِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الْخُلُوعِ إِلَى الثُّورِ وَمَنْ يُّؤْمَرْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا تَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا فَمَا أَحْسَرَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝ 11﴾

[سورة الطلاق: 8 - 11]

الشرح:

عَتَتْ: تجبرت وعصت أمر الله.
 تُكْرَأُ: النكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.
 وَبَالَ أَمْرِهَا: جزاء ذنبها واعراضها عن أمر الله.
 خُسْرًا: خساراً وهلاكاً، والمراد حساب الآخرة وعذابها.
 إِلْتَبَلَى: الألباب جمع لب وهو العقل.
 ذِكْرًا: الذكر هنا هو القرآن.
 مُبَيَّنَاتٍ: واضحات.
 رِزْقًا: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- بم توعده الله من يخالف أمره؟
- 2- لمن وجه الله تعالى أمره بالتقوى؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: بيان جزاء المخالفين لأمر الله وما جاءت به رسله

بعد أن بين الله تعالى بعض أحكام الطلاق والعدة ورغب الناس في العمل بها وحذرهم من مخالفتها في الآيات السابقة، حذر المخالفين لشرع الله من أن يحل بهم ما حل ببعض الأمم الخالية التي تجبرت وعصت أمر ربها فقال تعالى: ﴿وَكَايَرَمَىٰ فَرْيَةً﴾ قيل الكاف حرف جر دخلت على أي، وهي قراءة الجمهور، وفيها قراءات أخرى،

وقال أبو حيان: «والذي يظهر أنه اسم مبني بسيط لا تركيب فيه، يأتي للتكثير مثل كم»
[البحر المحيط: 3/358].

والمراد بالقرية أهلها، من باب قاعدة المجاز بالحذف ﴿عَتَتْ عَى أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، أي: تكبرت وجاوزت الحد في عصيان أمر ربها وإعراضها عنه على وجه العتو والعناد ﴿فَحَاسِبْتَلَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾، أي: فحاسبنا أهلها، وقد اختلف المفسرون في المراد بالحساب هنا:

قيل: يعني الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده.

وقيل: يعني في الدنيا، وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أو لأن قوله: ﴿فَحَاسِبْتَلَهَا﴾ و﴿وَعَذَابُهَا﴾ بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع، مجاز فيما لم يقع، وعلى هذا فمعنى ﴿فَحَاسِبْتَلَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ فأخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرهما، وقوله: ﴿وَعَذَابُهَا عَذَابًا نَكْرًا﴾ العذاب هو عقابهم في الدنيا، والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

ثم قال تعالى: ﴿فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: فتجرت عاقبة كفرها وجزاء ذنوبها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي: وكان عاقبة عتوها خسارة في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بيان لوجه خسران عاقبتهم، أي: هيأ الله لهم عذابا بلغ النهاية في الشدة والألم مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا، وهذا يرجح أن ما تقدم من المحاسبة والتعذيب والذوق في قوله: ﴿فَحَاسِبْتَلَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ و﴿وَعَذَابُهَا عَذَابًا نَكْرًا﴾ ﴿فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ المراد به الدنيا.

ثانياً: أمر الله للمؤمنين وأصحاب العقول السليمة بالتقوى

بعد أن بين الحق سبحانه ما حل بالأمة السابقة التي عتت عن أمر ربها ورسله من العذاب، وفي ذلك تحذير لكل الجاحدين والمعاندين، نبه هنا إلى ما ينبغي أن يكون عليه

المؤمنون لتكون عاقبتهم محمودة، حيث قال تعالى: ﴿بَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ أي: خافوا عقابه ولا تخالفوا أحكامه يا أصحاب العقول السليمة، ولا تكونوا مثل من ذكر من الأمم السابقة فيحل بكم ما حل بهم من العذاب في الدنيا والخسران في الآخرة. وقوله تعالى: ﴿الْخَيْرَ آمَنُوا﴾ بيان لأولى الألباب، وفيه إشارة إلى أن تقوى الله يقتضيها الإيمان، فقد خاطب فيهم راحة العقل وكمال الإيمان، مما يعني أن تقوى الله تعالى والالتزام بشرعه يقتضيه العقل السليم والإيمان الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾ قال الطاهر بن عاشور: «في هذه الجملة معنى العلة للأمر بالتقوى؛ لأن إنزال الكتاب نفع عظيم لهم، مستحق شكرهم عليه، وتأکید الخبر بقدر للاهتمام به، وبعث النفوس على تصفح هذا الكتاب، ومتابعة إرشاد الرسول ﷺ» [التحرير والتنوير: 337/28].

والذكر هنا هو القرآن، والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب ﴿رَسُولًا﴾ مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولاً. وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال. وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا بمعنى الرسالة. وقيل: إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكرا ذا رسول، وقيل: رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر.

وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ معناه يتلو عليكم آيات في حالة كونها بينات واضحات جليات، لا خفاء فيها ولا غموض، ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا كقوله تعالى: ﴿الْبُرُكْتُابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

[إبراهيم: 1] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا إِلَهُ الْبَرِّ وَالْعِزِّ أَمَّنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

[البقرة: 256]، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى . [تفسير

ابن كثير (بتصرف): 177/8].

ثم بين جزاء الإيمان والعمل الصالح فقال . ﴿وَمَنْ يُّؤْمَرْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَزُولُ فِيهَا عَنْهَا قَبْرًا وَبِهِمْ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا قَائِمُونَ﴾ هذا وعد من الله عز وجل لكل من آمن به وعمل صالحاً أن يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

• أن مخالفة أمر الله بالمعاصي والمنكرات سبب التعاسة في الدنيا والخسارة في الآخرة.

• أن الالتزام بأمر الله والاحتكام إلى شرعه هو سبيل السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

• أن الله عز وجل أقام الحجة على عباده ببعثة الرسل وإنزال كتب بها من الآيات ما يخرجهم من الظلمات إلى النور إن هم التزموا بأحكامها.

• الإيمان بالله وملازمة تقواه في كل حال يقتضيها العقل السليم واللب الراجح.

● التقويم

1- ما الجزاء الدنيوي والأخروي الذي أنزله الله بالأمم الخالية التي خالفت أمر ربها.

2- لماذا قص الله على هذا الأمة ما حل بالأمم السابقة؟

3 - لماذا أمر الله أولي الألباب بالتقوى؟

4 - استخلص من الآيات جزاء الملتزمين بشرع الله والمعاندين الجاحدين له.

● الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا تَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

«عُطِفَ عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى، وَالتَّنْوِيهِ بِالْمُتَّقِينَ وَالْعِنَايَةُ بِهِمْ هَذَا الْوَعْدُ عَلَى امْتِنَالِهِمْ بِالنَّعِيمِ الْخَالِدِ بِصِغَةِ الشَّرْطِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ نَعِيمٌ مُقَيَّدٌ حُصُولُهُ لِرَاغِبِيهِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ. وَ﴿صَالِحًا﴾ نَعَتْ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ يَعْمَلُ أَيُّ: عَمَلًا صَالِحًا، وَهُوَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ تُفِيدُ الْعُمُومَ كإفادته إِيَّاهُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ. فَالْمَعْنَى: وَيَعْمَلُ جَمِيعُ الصَّالِحَاتِ، أَيُّ: الْمَأْمُورِ بِهَا أَمْرًا جَازِمًا بِقَرِينَةِ اسْتِقْرَاءِ أدَلَّةِ الشَّرِيعَةِ».

[التحرير والتنوير: 338/28]

أتأمل النص وأوضح من يستحق الجزاء المذكور في الآية، وذلك بإعمال القواعد الأصولية الآتية:

- قواعد صيغ العموم.

- قواعد التخصيص.

● الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 12 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ (ة):

1- أستحضر مكتسباتي في علم التوحيد وأخص مفهوم صفتي (قدرة الله تعالى - وعلمه) وتعلق كل منهما.

2- أبحث عن بعض دلائل قدرة الله تعالى وإحاطة علمه في الآية.